الاسلام كثيرًا وقد سمعت واحدًا منهم يتلهف على إدخال الاصلاح الى هذه الطبقة من الناس ويعلق عليها آمالاً كبيرة وشواهدهُ من التاريخ انهُ لم يعهد في المسلمين جمعيات منظمة يعمل مرؤوسوها باوامر رؤوسها الاَّ هذه الطرق وان بعض الملوك قديمًا تذرعوا بمشيخة الطرق على عهدهم فاستخدموهم ومريديهم في اقامة حكومات كبيرة وتوفقوا الى ذلك كل التوفيق . هذا ما سمعتهُ مرارًا من فم ذاك العلامة اثبتهُ للقراء غير جارح ولا معدّل . ولعلَّ فئة من الكتاب تتفضل بنقد ما سطرتهُ والله حسبي

بحَّاث دمشقي

الحياة كلها جهاد

تعب كلها الحياة وما اعجب الامن راغب في ازدياد

ليس هذا معنى مخترعًا انشأهُ التخيل وانتجهُ الغوص في تطلاب المعاني وانما هو معنى لا تغيب عن العين شهاداتهُ ولا تتوارى عن الحس حالاتهُ ولكنها نفثة اختلجت في صدر ناظمهِ حين رأى الحياة ظلاًّ زائلاً وسنادًا مائلاً راحتها عناء ونعيمها شقاء شغلت بجهادها ابناءها فسعوا دائبين وسروا جاهدين يتطلبون الراحة من التعب والنعيم في النصب . وهذه سنة الكون جهاد قائم ونزاع دائم لم يقم لولاهُ هذا الكون العظيم ولم ينتظم هذا السمط البديع بل لولاهُ لم ترتق الكائنات ولم تسمُ المخلوقات ولا عُرف الحقير من العظيم ولا الفضيلة من الرذيلة

تصوَّر الانسان في فلاة القدم وصحراء الازل عاري الجسد منبوذًا في العراء خاوي الوفاض بادي الذلة لا سلاح يقيهِ ولا ناصر يحميهِ يتطلب مكنًا يكنهُ ملبسًا يسترهُ ومطعمًا ومشربًا حواليهِ حيوانات سبقتهُ بوجودها وباهتهُ بعديدها . هي مستورة وهو عارٍ وهي شاكية انيابًا واظفارًا ومناسر وهو اعزل يراها بين فاتكٍ يحدد نابهُ وبدلٍ بخليهِ وفاتنٍ يمرح بظرفهِ ويتباهى بحسنهِ وبدلٍ بجمالهِ وسادر في خيلائهِ وسادل ثوب كبريائهِ وسانح وبارح ومقيم وسارح . وطائر يطير بين مستعظم كبير ومتضائل صغير وهو بينها ضعيف القوى بادي الضنى . الاَّ ان ارتقاء عقلهِ بطرق تخيلهِ وتحيلهِ وقاهُ منها وسوَّدهُ عليها

ثم اعد اليهِ نظرًا وهو يسمو كبرًا ويختال عجبًا يشيد القصور ويبني الصروح ويقيم البروج تضاءل لهُ كل متجبر وذل لديهِ كل عاتٍ وملك اقطار الارض وآفاق السماء فسخر الحيوان ووطئ ظهر الماء وركب متن الهواء حتى اذعن التيار لسلطتهِ وذل البخار لقوتهِ وخضعت الكهربائية لسطوتهِ سخرها لطاعتهِ واقامها لخدمتهِ وطئ اكنافها فانقاد ايُها واطاع عصيُّها . فهل هذا

الطائر في الهواء الممتطي غارب الماء المالك ناصية الكهرباء الباني الصروح العالية والقصور الشامخة هو ذلك البائس العابس الضارب في حيرته التائه في هواجسه المستكن الاعشاش والكهوف — هو هو — لمَّا اعوزته الحاجة واضطر بحكم الفاقة جاهد قدر الطاقة بالتعقل وطرق التحيل فبلغ ما بلغ مع الدهر الطويل والزمن المديد . ولو لم يقف صدًّا لارتقائه ما هو غير صالح من طرق الجهاد ومقاوم النزاع لكان لهُ شان يفوق التصور وتهوى دونهُ العقول

تكامل الموجود الى هذا الوصف المشهود وارتقى هذا الارتقاء بعد ان كان سائمًا سائحًا الليالي تجاذبهُ والساعات تتناهبهُ تعثورهُ الحوادث والكوارث يغالبها وتغالبهُ في نزاع بين ابناء جلدته وحيوانات مستقره يصطرع معها وكل يجر النار الى قرصه وصل الى ما وصل بعد جهاد طويل غالب فيه الطبيعة وسلب ما حولهُ مما تضطرهُ اليه حاجتهُ لتقوية ركنه وحفظ كيانه واستمرار بقائه

لا بدع اذا قام بالجهاد وثبت في مجال التنازع اذ كان الجهاد ركنهُ وقوامهُ . فالجهاد سنةُ العالم وناموس الكون الاعظم . اعتبرهُ في الجاذبيَّة ام النواميس الكونيَّة بل اسمها تجد انها جهاد عنيف وشوق بين الجاذب والمجذوب وهي تقوى على قدر ما فيها من المادة . يعني ان قوة الجذب تزيد بازدياد المادة الموجودة ونقصانها وان كليهما متجاذبان مهما عظم احدهما وصغر الآخر . فالارض كما تجذب الحصاة الواقعة عليها تجذبها الحصاة اليها والفرق بين الجذبين كالفرق بين المتجاذبين

علمنا ان هذا الفضاء الشاسع كان ولم يزل مملوءًا بالجواهر السابحة والاثير المنتشر وان ذلك مادة العالم بتسلط الجذب والدفع عليه يتنازعان على قوته ويتغالبان على استرقاقه . ومن ذلك تكوَّنت العوالم الارضيَّة وتألفت الكواكب العلويَّة والاجرام السمويَّة . وبجهاد حركتي الجذب والاستمرار سارت السوائر ودارت الدوائر ووجد الليل والنهار والعشي والابكار وفصلت الفصول وارتقت الحياة والعقول ونبت النبات وعاشت الحيوانات وقامت الارضون والسموات

نرى النبات يجاهد غيرهُ لتقويم حياته وينازع جارهُ لبقاء ذاته فاذا نظرت مزروعًا بسق او خصب تجد بين نباته نبتًا ضئيلاً ضعيفًا يطيء النمو مجاورًا للباسق الخصب وهما من صنف واحد في مزدرع واحد يسقيان من ماء واحد وما ذاك الاَّ ان العالي علا بفوزه على الضعيف في معترك الجهاد وغلبهُ على القوت فنقع غُلَّتهُ وذلك اضناهُ الجوع يتبلغ بالتافه من غنيمته ان كان فيه بقية والاَّ هلك

عُد نظرًا الى الانتخاب الطبيعي تجدهُ قائمًا على اركان اسمها بقاء الانسب والوراثة الطبيعيَّة

وكلتاهما قائمتان بالجهاد الحيوي فان الاصلح الذي تناسب زمانهُ ومكانهُ انما ثبت لوجود الاستعداد فيهِ للبقاء من صلاحية اثبتها فيهِ جهادهُ بعد فناء ما اختلت فيهِ من افرادهِ مناسبات حالتهِ فلم تصلح لجهادهِ. فالزرافة انما طال عنقها لمَّا الجأها جهاد الحياة الى التطاول الى باسق الاشجار. فما كملت فيهِ هذه الصفة قوي على عدوهِ الجوع وما لم توجد فيهِ صرعهُ عدوهُ في جهادهِ وفشا فيهِ الفناء. وكذلك قل في افلاثها ما ولد طويل العنق عاش عيش ابيهِ والذي قصر عنقهُ قصر عمرهُ الى ان ثبتت هذه الصفة بالوراثة وتأصلت واصبحت من الصفات اللازمة المقومة. وجهاد الحياة اساس ذلك فهو اساس وجودها على تلك الحال وامتياز هذه الصفة دون غيرها لمكان اعوازها

هذه اسراب الحيوان في مغاديها ومراوحها متبارشة متحاربة متنازعة جهادها بينها على ساق. هذه تغالب تلك وتلك تطرد هاتيك اذا انست مرعى خصيباً وروضاً معشوشباً. وبعضها يفترس بعضاً والبعض ينهش الآخر وهي في حرب عوان. فالجهاد سنَّة بين الاحياء قامت عليها الاكوان ونشأت بها المنشآت وتكملت بها الطباع وارتقت بها المخلوقات

كلما اتسعت مدارك المرء وزاد ترفهُ عيشهِ كثرت حاجياتهُ فيكثر جهادهُ وذلك لانهُ في حالتهِ الحيوية يحتاج الى ما يحفظ بهِ كيانهُ ويستجلب بهِ الفوز في جهادهِ فاذا ارتقى سلَّم العيش وصالح الارتقاء انفت نفسهُ بما انتهُ من النعيم خسائس الحالات فعانق ما هو ارقى من حالتهِ الاولى حتى اذا تأصلت فيهِ صار لا غنى لهُ عنها فاصبحت حاجة بعد ان كانت كمالاً. وكلما زاد نعيمهُ انفسحت امامهُ باحة الكماليات يعانقها عناق مشتاق ويألفها الف من يخشى الفراق حتى تلزمهُ وتصبح من حاجياتهِ الهامة وخصائصهِ اللازمة. ولنفرض ذلك والانسان في اول امرهِ قد دفع عنهُ صبارة الشتاء وحمارة القيظ بتفيئهِ ظلال الاشجار والتحافهِ اوراقها او اكتنانهِ مغاور الجبال مرتدياً اهابات صيودهِ من الحيوانات التي تغلَّب عليها طلباً لقوتهِ. ثم ترقى وانتقل من ظلال الشجر الى افياء الاعشاش. ولا شك ان اول استعمالهِ الاعشاش ليس كآخرهِ اتقاناً ووفاء بالغرض فلو كلفتهُ والحال هذه لم تجدهُ مطيعاً ترك كنَّه راجعاً الى حالتهِ الاولى لما انتهُ نفسهُ من هذا النعيم. ثم ارتقى في ملبسهِ من اوراق الشجر الى اليافها ومن الجلود الى اوبارها يحوكها برودًا ومآزر واصبحت من لوازم عيشهِ ومن اهم حاجياتهِ بعد كونها كماليات وهكذا كلما سما في سلَّم النعيم كثرت حاجياتهُ فيعظم جهادهُ وعلى قدر الغاية يكون العمل

قلنا فيما سبق ان المرء مفطورٌ على الجهاد في حياتهِ فهو في ذلك يتوخى ما بوسعهِ للفوز في هذا الجهاد وكأنهُ كان لا يقف عند حدٍّ في الجهاد يتتبع كل طريق ويطرق كل باب

وراء الغاية حتى عرف النافع والضار وادرك اللذة والالم ولا يبعد انهُ ادرك ان كثيرًا من التعب يعقبهُ الراحة فتوخاهُ تبعًا لغايتهِ وعلم ان الاخلاد الى السكون والاستسلام للراحة والهوى والبطالة مطلقًا للشهوات العنان غير مقيدة بقيود الاختبار والتعقل يرمي المرء في مهاوي المهالك حيث تهمل آلات الجهاد الصالحة ويقف نموُّ ما حصل بالتوارث من اعصاب قويَّة وهمة عليَّة واخيرًا ينتهي بضعفها وعدم مناسباتها للجهاد فيقف صاحبها في معترك الاسنة وسلاحهُ مغرب ويهوي في هوة الردى

بقاء الانسب هو في الصفات كما هو في الماديات بل اظهر اثرًا فما كان من الصفات انسب للنجاح واصلح للبقاء ثبتت اصولهُ ونمت فروعهُ وطاب وزكا ولو كانت حلاوتهُ مبدوءة بالحنظل وراحتهُ مسبوقة بالتعب وما كان غير صالح للنجاح ذوت فروعهُ وخبثت ثمرتهُ ولو كان في اولهِ شهيًّا جنيًّا . ولا شك ان هوى النفس يتطلب اللذة العاجلة ولو كانت العاقبة مردية لكن العقل الصحيح والاختبار الصادق يمنعان من هذا التهور . فاذًا اعمال الانسان اما مسوقة بسايق الهوى او سارية تحت قيادة العقل او هما يتعاقبان عليها ويتنازعان زمامها والنفوس منطبعة بطبع قائدها سالكة منهاج تعليمهِ سائرةٌ تحت ارادة سائقها . فان ولي العقل زمامها قادها الى الاصلح والانسب فيما يؤهلها للمناضلة والمدافعة في معترك الحياة فتفوز فوزًا مبينًا ويرتفع شأن صاحبها ويحسن امرهُ ويعلو ذكرهُ لان النهج الذي سرى عليهِ نهج سهَّلهُ الاختبار وحسَّن عاقبتهُ التأمل مما يستجلب ثقة قومهِ ومحبتهم يحفظ بذلك نفسهُ وقومهُ وجنسهُ باتباعهِ الاخلاق الصالحة المناسبة لحفظ كيان المجتمع

ثبت الجنرال ده ويت البويري امام صدمات الانكليز القوية بفئتهِ القليلة العدد والمدد بثبات جيشهِ . ومن اهم اسباب الثبات حب الجيش لقائدهم حبًّا يفدونهُ معهُ بالارواح وليس ذلك الاَّ لاتصافهِ بالصفات التي تليق بالمجاهد في معترك الحياة من حب القريب والوطن والشفقة على الضعيف وغيرها من مقومات الهيئة الاجتماعية فهو كان بينهم غير متميز عن واحد منهم طعامًا ولبسًا واذا رأى جنديًّا رثَّ لباسهُ قاوضهُ ثيابهُ

ونابليون الاول ما ثبتت معهُ جنودهُ في اقتحام سعير الحروب وخوض غمرات الردى في برد روسيا وحر مصر ومحاصرة عكا الاَّ لاخلاصهم في حبهِ لما رأوهُ فيهِ من الاقدام والحب لوطنهِ وقومهِ

هذا اذا قاد الارادة العقلُ واما اذا سارت تحت لواء الجهل والهوى قيدت الى العسف والخبط على غير هدى وآبت بالفشل كما نرى في جهاد كثير عموا عن اكتناه العالم واستجلاء غوامضهِ وصمُّوا عن داعية الهدى والرشاد

واما اذا تعاقبت عليها سلطتا العقل والجهل وغلبت احدى السلطتين الاخرى سارت الارادة مع الغالبة وان تساوت قوتاها سارت طريقاً وسطاً شأن المنفعل بحركتين متساويتين في جهتين فانهُ يكون بين بين. فالمساعي مختلفة واسباب الجهاد متفاوتة عرف ذوو العقول الثاقبة الذين تأملوا العالم فاحسنوا فيهِ التأمل نافعها وضارّها وانشأوا الحكمة الاخلاقية فلا حسن الاَّ ما يحسن للجهاد في حياة لا تقوم الاَّ بهِ ولا قبيح الاَّ غير الصالح لهُ ولا شبهة في نجاح سالك النهج القويم واهتدائهِ وشطط السائر في غير قويم وضلالهِ

اربعة سائرون في مضمار واحد مختلفو الصفات احدهم مخلد الى الراحة لا يرفع يداً لعمل ولا يبعث عزماً للجهاد تناهبهُ الضرورات وهو متبلد امامها والثاني مجاهد بطرق ليست مشروعة يتتبع طرق التحيل والمكر ويعتنق الكذب والرياء والثالث جاهل رأى الناشئة في مهد العلم والعقل فاحبَّ اتباعهم عن غير ما يكفيهِ فتطلع الى الغاية ولم يحسن المقدمات ولم يخمد نار جهلهِ بالعلم ولم يرجع في سيرهِ الى اختبار صادق وسار الرابع في النهج الاقوم فهد لديهِ الصعوبات بعلم عملهُ واختبار الفهُ وحكمة استضاء بمشكاتها . فاذا نظرنا النتيجة رأينا الاول عليهِ لبوس الذلة وضرع الاستسلام والاهمال قد انحطت رتبتهُ الى ما دونهُ من العجماوات كلٌّ على عائق الحياة ورأينا الثاني قد كرهتهُ القلوب ونبذتهُ العيون ونبت عن ذكرهِ الاسماع لا يثق باحد لسوء ظنهِ ولا يثق بهِ احد لسوء فعلهِ ورأينا الثالث بعيداً عن النجاح تكلف مشاق شاقة دون بلوغهِ ما يريد وما ظنك بمن طلب شيئاً وسار بغير طريقهِ واما الرابع فهو الذي يصافح النجاح يملك غايتهُ ويحصل على بغيتهِ يسير في طريق ممهد لا عوج فيهِ

وقفت الصين واليابان موقف الحرب وشبت بينهما نارها والصين اكثر ناصراً ونفيراً فلما التقى الجمعان وكانت اليابان قد اعدَّت معدات الجهاد التي افتقنها لها التمدن والتعقل وسلكت سبيل الاختبار غير مرتبطة بتقاليد قومية او جهل قديم حيث كانت الصين تجر اذيال التيه وتفخر بعادي مجدها وقديم عزها مستمسكة بالتقاليد القومية والجهلات التعصبية ذلك اخلدها الى السكون فاهملت آلات جهادها فزلت بها القدم ولم ينفعها ما حولت اليهِ نظرها من الجد الفارغ والزخرف الباطل ولا بطؤها عما اسرعت اليهِ جارتها فكانت جنود اليابان اكثر دربة واحسن سلاحاً والصين اكثر عديداً ونفراً فحطمتها اليابان وهي لا تبلغ عشرها وفازت عليها وهتكت سترها

وترى الامة العربية حين كانت دائبة في جهادها قائمة بدعوتها امتدت في آن قصير وتغلبت في وقت قريب على الدولتين العظيمتين اللتين اقتسمتا العالم وتنازعتا قوتهُ الرومان والفرس حيث كانت آلات الجهاد عندها من الدربة والانتظام ومحبة القريب وحفظ كبار

الامة والدين كاملة ثابتة وكانوا لا يعرفون الراحة فالتقشف وعجانبة الترفه في اكابرهم كاصاغرهم كان ذلك والفرس والرومان يتقلبون في الراحة حتى ساقتهم الى التباغض والتحاسد فهدم ذلك مع مهاجمة عدوهم صروح مجدهم وثل عروش عزهم . فالجهاد الصادق ما نظر فيهِ مجاهدهُ الى مستقبلهِ وتأمل في عاقبة امرهِ ولم يمُوه عليهِ ظاهر الحال فالسم في الدسم . والجهاد الكاذب الفاشل ما قنع ناظرهُ بما هو فيهِ ولم ينظر في عواقبهِ فما هو الاَّ حيالة الشرك قد اخذت بمخنقهِ واوردتهُ حتفهُ . فليتأمل العاقل وليختبر الحكيم فالتاريخ مرآة الحوادث وهو المدرسة الكبرى والمختبر العظيم

احمد رضا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام والقباء والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المدارس السورية الانكليزيَّة

لئن تعددت المدارس السوريَّة على اختلاف اجناسها وطبقاتها فانها لم تدرك شأو المدارس السوريَّة الانكليزيَّة فائدة وفضلاً ولذلك رأيت ان اثبت على صفحات المقتطف الاغر لمحة من تاريخ هذه المعالم وفضل القائمين بها فاقول

اتت السيدة المبرورة مسز بوين طمسن الى بيروت عام ١٨٦٠ فرأت وفتشذ من سوء حال الارامل واليتامى النازحات من الشام وخاصيا وغيرها ما هاج في قلبها عاطفة الحنان والشفقة فاخذت تمدهنَّ بما يسدُّ رمقهنَّ ويصلح حالهنَّ ولما لم يكن في الالف منهنَّ من تحسن القراءة وكانت ترى في تثقيف عقولهنَّ وتهذيب اخلاقهنَّ وعوائدهنَّ خدمة للبشريَّة عمدت الى تعليمهنَّ مبادئ العلوم والآداب فالتمست من الدولة العليَّة فرمانًا يخوّلها حق انشاء مدارس للاناث في بيروت والشام ووادي التيم وبقاع العزيز وجبل لبنان

وبعد ان ظفرت بمبتغاها سافرت الى انكلترا حيث حضَّت ذوي الايادي البيضاء والمولعين بعمل البرّ على معاضدة مشروعها فالَّفت لجنة لجمع المال اللازم لنفقة المدارس حتى اذا ضمنت لها الثبات على خطة التقدم عادت الى بيروت وابتاعت قطعة ارض في ناحية منها حسنة